

طلب العلم بين المدرسة، والأسرة، والمجتمع، ووظيفة الأبوين في تدعيم عملية التعلم والتعليم



الهدف:

استكشاف أهم المؤثرات في مسيرة الطالب من خلال نماذج الأسرة والمدرسة.

محاور الموضوع

١. الحث على طلب العلم
٢. من آثار العلم
٣. لزوم العناية بالطالب

تصدير:

النبى الأعظم ﷺ: «يَجِيءُ الرَّجُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ كَالسَّحَابِ الرِّكَامِ، أَوْ كَالْجِبَالِ الرُّوَاسِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذَا وَلَمْ أَعْمَلْهَا؟ فَيَقُولُ: هَذَا عِلْمُكَ الَّذِي عَلَّمْتَهُ النَّاسُ يَعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِكَ»^(١).

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص١٨، ح٤٤.

كلمة على طلب علم قول علي بن أبي طالب عليه السلام: «قَدَّرَ كُلُّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ»^(١٠).

لزوم العناية بالطالب:

إنَّ الخطر العظيم الذي يقع عليه العلم استلزم أن يُحاطَ كُلُّ مَا يَتَّصِلُ بِشَأْنِهِ بِكُلِّ عناية، وذلك من جانب الأسرة، لا سيما الأبوين، وكذلك من جانب المدرسة. معارف وتربية، ومناهج وأساليب. فيجب أن تشمل هذه الجهات الطالب بالرعاية الكافية، والحماية اللازمة؛ وكذلك يجب أن يراعى بناء شخصية الطالب بما يحقق التوازن في مختلف الجوانب. ولكن، وعلى كل حال، فإن هناك عوامل رئيسة تؤثر في بناء شخصية الطالب، نذكر أهمها، إلى جانب تأثيرها.

أ- الأسرة:

لا يخفى أن للأسرة دوراً مصيرياً في حياة الأبناء، فإنها كمحيط أول وبيئة مُستقبلة للإبن بمثابة المعهد الذي يتلقى فيه الإبن

العلم^(٤). وقد جعل فريضة يُتَعَدُّ بها إلى الله، فعن الصادق عليه السلام: «طلب العلم فريضة من فرائض الله»^(٥). وقد ندَّب الإسلام إلى الهجرة وطني المسافات في سبيل تحصيله، فعن النبي ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين»^(٦).

من آثار العلم:

عن النبي ﷺ: «أَمَّا الْعِلْمُ فَيَتَشَبَّعُ مِنْهُ: الْغِنَى... وَالْجُود...، وَالْمُهَابَةِ... وَالسَّلَامَةُ...، وَالْقُرْبُ...، وَالْحَيَاءُ...، وَالرَّفْعَةُ...، وَالشَّرَفُ...، وَالْحِكْمَةُ، وَالْحِظْوَةُ؛ فَهَذَا مَا يَتَشَبَّعُ لِلْعَاقِلِ بِعِلْمِهِ»^(٧). وعنه ﷺ: «أَكْثَرُ النَّاسِ قِيَمَةٌ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا»^(٨).

وعن علي عليه السلام: «قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ»^(٩).

ويقول إمام أهل اللغة طرّاً بعد النبي وآله، صلوات الله عليه وآله، الخليل بن أحمد الفراهيدي: «أَحْتُ

الحث على طلب العلم

لا يخفى على عاقل أنَّ العلم أحد أعظم الكمالات المنشودة، والتي يطلبها الإنسان من خلال نداءات الفطرة النازعة إلى كلِّ كمال، ومن خلال دأب العقول؛ حيث إنه «منبر العقل ومميت الجهل»، كما عن الأمير عليه السلام^(١).

وهو «حياة القلوب، ونور الأبصار من العمى، وقوة الأبدان من الضعف، كما عنه عليه السلام^(٢).

«فالعالم رأس كل خير، والجهل رأس كل شر»، كما عن النبي الأعظم ﷺ^(٣).

من أجل ذلك، كان الحث على طلب العلم من جميع المسلمين، فعن النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم؛ ألا إنَّ الله يحبُّ بغاة

(٤) الكليني في أصول الكافي، ج١، ص٢٠، ح١.

(٥) البحار، ج١، ص١٧٢، ح٢٧.

(٦) كنز العمال للمنتقى الهندي، ج٢٨٦٩٧.

(٧) تحف العقول لابن شعبة الحراني، ص١٦.

(٨) أمالي الصدوق، ص٢٧، ح٤.

(٩) نهج البلاغة، حكمة ٨١.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للفاضلي الآمدي، ١٧٣٦٢.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق، ص٤٩٢، ح١.

(٣) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج٧٧، ص١٧٥.

(١٠) أمالي الشيخ الطوسي، ص٤٩٤، ح١٠٨٢. وقال الجمهوري في الصحاح: يحسنه أي يعلمه.

الدروس الأولى في الحياة. ويمكن أن تؤسس الأسرة مساراً للحياة، بحيث يكون تأثيرها قاسماً في غرس بذور المعاني الإنسانية، وتأسيس قيم الجد والاجتهاد، والتزام سبيل الخير والهداية والصلاح، واعتناق العقائد الحقّة ثقافة وفكراً؛ وكذلك تلقّف فضائل الأخلاق ومعالٍي الخصال، ليصبح كلّ ذلك أساساً للشخصية المقتدرة الخير، النازعة، إلى تحصيل عوامل المنفعة وأسباب القوة، وأبرزها الشغف في سبيل العلم واكتساب المعارف.

أو أن تتحوّل الأسرة إلى معهد يحمل الإبن على سلوك سبيل مخالف تماماً، بحيث يتحوّل شخصية تبتعد عن الفطرة السليمة، وتهزأ بقيم الحقّ، وتسخر من معاني الإنسانية، بحيث تصل إلى درجة التضحية بها على مذبح النزوات والأهواء، والمصالح الفردية الضيقة ويستحيل الإبن بالتالي معولاً يهدم معالم الإنسانية ويسدّ طرق الخير والهداية والصلاح.

١- الأبوان:

يمثّل الأبوان أهمّ العناصر القابلة للتأثير في الولد، وهما يُعتبران الأسوة التي على أساسها تتموّل قوى النفس عند الولد، والقُدوة التي يتبعها هوى الطفل، ومعها تنفتح مداركه، ومعها تتحرّك مشاعره وعواطفه.

فالولد يرى ومنذ بداياته جميع الحركات من حوله، وكذلك الأعمال والسلوك؛ ويتعلّمها تدريجاً. ويجب أن نعلم أنّ الولد يكتسب الكثير من

العادات، نتيجة التجربة والعمل وتبقى معه إلى آخر حياته.

وإنّ الأبوين هما الحارث الأوّل في عقل الطفل وفي نفسه، فإنّما يفرسان فيه الصدق والكذب، الأمانة أو الخيانة، الشجاعة أو الجبن والخوف، رباطة الجأش في الشدائد أو الاستسلام. وأيضاً الاستقامة والثبات، أو التلون والتذبذب والنفاق.

فما أفضل من أن يرى الولد أبويه مقبلين على الاستزادة من العلم والمعرفة، فاتحين عقليهما على الحكمة والثقافة النيرة. وأن يزينا هذه المعارف بالأخلاق الحسنة، ليكونا بذلك من أهل العلم المشفوع بمعالٍي الفضائل وإليك نبذة من الروايات في هذا المقام:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«تعلّموا العلم، وتعلّموا للعلم السكينة والحلم»** ^(١).

وعن الصادق عليه السلام: **«اطلبوا العلم، وتزيّنوا معه بالحلم والوقار»** ^(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: **«زينة العلم الإحسان»** ^(٣).

وعن علي عليه السلام: **«خفض الجناح زينة العلم»** ^(٤).

ب- الإخوة:

الأسرّ التي يعيش فيها إخوة كبار وآخرون صغار، نجد أنّ هناك انجذاباً متبادلاً، غالباً، بين الكبير والصغير؛ فإنّ الكبير يشمل الولد بالرعاية والاحتضان والاهتمام؛ والصغير من

جهته يتأثر به، فيأخذ منه الكثير، وقد يصبح مصدر استلهام للأفكار والحركات، ومورد اقتداء في الأخلاق والمواقف والسلوك.

ب- المدرسة:

تحتلّ المدرسة مكانة مرموقة في سلّم المؤثرات في وعي الولد، ونوعية المعارف، ومضامين العلوم، وأنماط السلوك، والبناء العاطفي والمعرفي، وخلق الشخصية المتوازنة؛ وذلك من خلال المناهج التعليمية، والبرامج التربوية، وأنواع العلاقات التي تعمل على إنشائها بين أفراد الهيئة التعليمية وبين الطلاب.

وبناءً عليه، فمن الواجب المؤكّد على الأبوين أن يتوخّيا جانب الدقّة الشديدة في اختيار المدرسة للولد. وقد قال تعالى: **«فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ»** ^(٥). وعن الباقر عليه السلام: **«في قوله تعالى: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ»، علمه الذي يأخذه ممّن يأخذه»** ^(٦).

وعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: **«عجب لمن يتفكّر في مأكوله كيف لا يتفكّر في معقوله؛ فيجنّب بطنه ما يؤذيه، ويودع صدره ما يرديه»** ^(٧).

ومن الجدير التنبيه إلى أنّ هناك عوامل أخرى مؤثّرة في شخصيته وسلوك الطالب، كالرفاق والأقران، وآخرين من الأقارب والجيران، إضافة إلى الشخصيات المؤثّرة في الحياة العامّة، كالعلماء والقادة...



(٥) سورة عبس، الآية: ٢٤.

(٦) المحاسن للبرقي، ج ١، ص ٢٤٧، ح ٧٢٤.

(٧) البحار، ج ١، ص ٢١٨، ح ٤٨.

(١) البحار، ج ٢، ص ١٢٧، ح ٤٩.

(٢) أمالي الصدوق، ص ٢٩٤، ح ٩.

(٣) أمالي الصدوق، ص ٢٩٥، ح ١٠.

(٤) كشف الغمّة للعلامة الأربلي، ج ٢، ص ١٢٧.